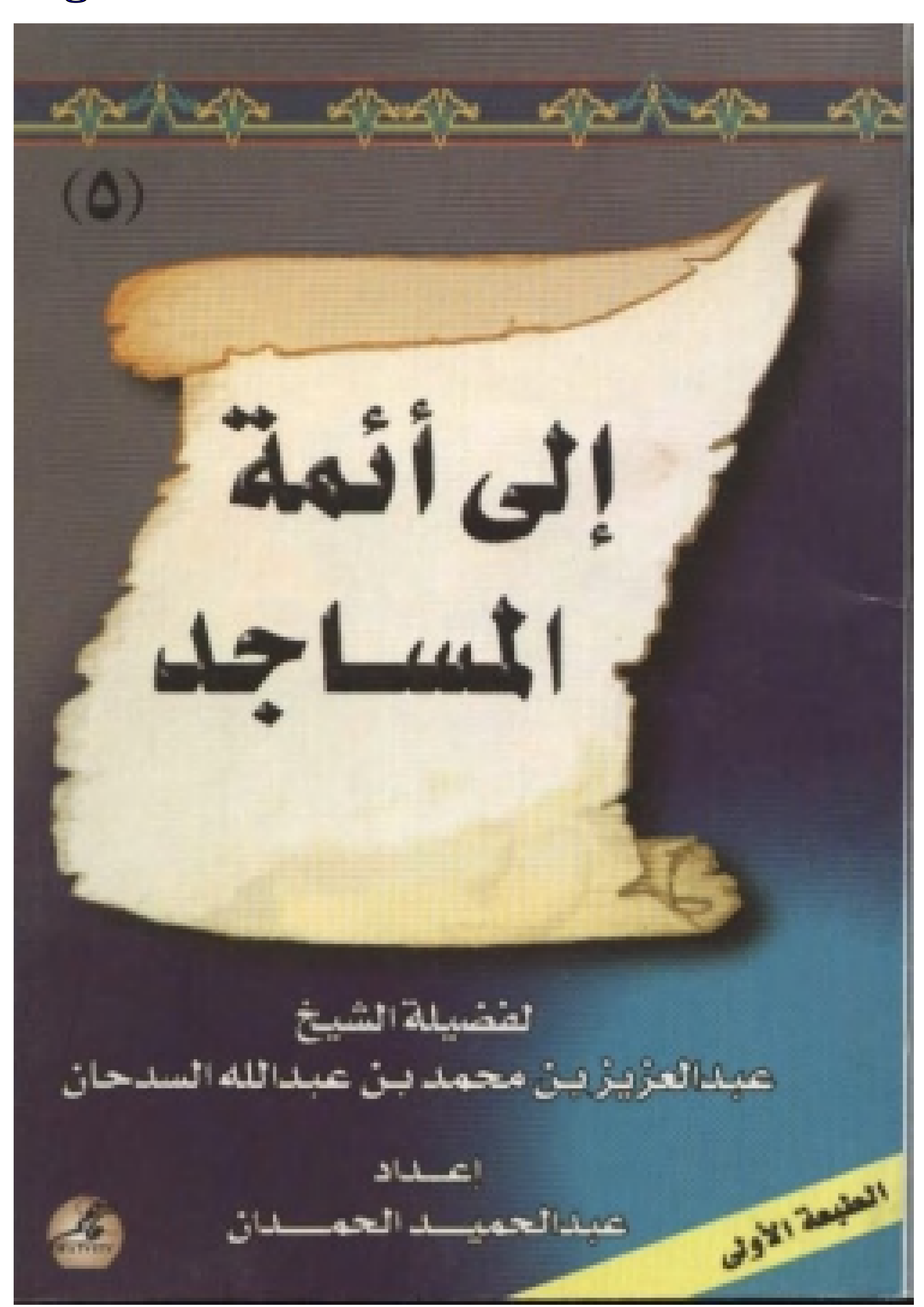

(٥)
إلى أئمة المساجد
لفضيلة الشيخ
عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان
إعداد
عبدالحميد الحمدان
الطبعة الأولى

معالم

إلى أئمة المساجد

تأليف فضيلة الشيخ

عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالَمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وبعد: فمعاشر المسلمين...

إنّ للمسجد في الإسلام منزلةً عظيمةً ومكانةً رفيعةً وضع الشارعُ له أحكامًا تحفظ حُرمتَه لتعرف مكانته، فخصَّه بالتحية قبل الجلوس، ومنع من اتِّخاذه طريقًا إلا لذِكر أو صلاة، ونهى عن البيع والشراء فيه... إلى غير ذلك من أحكام المساجد.

ومع هذا كلّه؛ فيزيد فضل المسجد وشرفه بأنه مجمع الناس لأداء الفرائض بخاصة وغيرها عامّة، وهو مجتمع الناس لحِلَق العلم ومدارسته.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وكانت المساجد مجامعَ الأمة ومواضعَ الأئمة، وقد أسَّس ﷺ مسجدَه المبارك على التقوى فكانت فيه الصلاة والقراءة والذِّكر وتعليم العلم والخُطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العُرَفاء، وفيه يجتمع المسلمون كلما حَزَبهم أمرٌ من أمر دينهم ودُنياهم...» انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

معاشر المسلمين...

وإذا كان دور المساجد بهذه المثابة والأهمية كان لزامًا أن يقال: إنّ أولى الناس باستشعار تلك المنزلة هم أئمةُ المساجد الذين هم رمزُ اجتماع المسلمين يُصلّون خلفهم كلّ يوم خمس مرات من الفرائض، ناهيك عن النوافل وذوات الأسباب.

شاهد المقال: أنّ منزلة الإمامة في المسجد مخصوصةٌ بمزيد عناية ترغيبًا وترهيبًا، ذلك لأنّ نفعَ الأئمة أو تقصيرَهم ليس مقصورًا عليهم، بل يتعدّى إلى غيرهم ممّن يُصلّي خلفهم؛ لذا كثُرت النصوص في هذا المقام.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإمام ضامنٌ والمؤذّن مؤتمن، اللهمّ أرشد الأئمة واغفر للمؤذّنين . أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي.

وعن عُقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله m: «من أمَّ قومًا فإن أتمّ فله التمام ولهم، وإن لم يُتمَّ فلهم التمام وعليه الإثم . أخرجه

الإمام أحمد.

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لا تجاوزُ صلاتُهم آذانَهم: العبد الآبق حتى يرجع، وامرأةٌ باتت وزوجُها عليها ساخط، وإمامُ قومٍ وهم له كارهون** . أخرجه الترمذي، وله شاهد عند ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

***

إلى أئمة المساجد

معاشر الأئمة...

إنّ من أعظم ما ينبغي للإمام أن يتمثّل به القدوة الحسنة في التعامل مع جماعة مسجده، وذلك بمعرفة حقّ عالمهم، وتوقير كبيرهم، والشفقة على صغيرهم، وعيادة مريضهم، وزيارة مقصِّرهم والحرص على مناصحته مكاتبةً أو مهاتفةً أو مشافهةً.

معاشر الأئمة...

اعلموا ـ رعاكم الله تعالى ـ أنّ قُدوتكم وصوابكم يتأثّر به سامعُكم وشاهدُكم ومن بلغه أمرُكم، فالمطيع يزداد طاعةً والمقصِّر يُقبل على الطاعة، فاحرصوا ـ حفظكم الله تعالى ـ على تمثّل القدوة الطيّبة في جميع شأنكم، احرصوا على ذلك كلِّه.

ثم احذروا مما يشين سُمعتَكم، فإنّ خطأكم وسوءَ فعالكم يتعدّى ضررُه إلى غيركم ممن شاهدكم أو سمع عنكم، فاحذروا ذلك كلّه وإياكم وسوء الخُلُق.

احذروا أن يجعلكم الناس مضغةً في ألسنتهم وفاكهةً في مجالسهم يذكرون معايبكم، فيُلقى بُغضكم في قلوب الناس فيتثاقلون الصلاة خلفكم ولا يتأثّرون بشخصكم ولا يُصغون لوعظكم وعلمكم، بل يتسابقون إلى القيام عند سماع حديثكم ونُصحكم.

معاشر الأئمة...

اعلموا ـ رعاكم الله تعالى ـ أنّ لكم أمانةً فحافظوا عليها ألّا تتقهقر، وسُمعةً فاحرصوا عليها ألّا تُدنَّس.

ارتضتكم جماعتُكم لدينهم فكونوا عند حُسن ظنِّهم بكم، بل أحسن من ظنِّهم.

كونوا مستشعرين لأمانة الإمامة، حافظوا على القيام بها على أكمل

صورة وأتمّها.

تحرَّوا السنّة في أقوال الصلاة وأفعالها، تمثّلوا في صلاتكم قول النبيّ ﷺ: «صلّوا كما رأيتموني أصلّي . أخرجه البخاري.

أعطوا الصلاة حظّها من الرُّكوع والسجود، وإياكم والعجلة في أدائها فإنّ ذلك من نقرها، ونقرُ الصلاة منهيٌّ عنه، ومن زعم أنّ ذلك من مراعاة حال المأمومين فقد خالف الصواب، والتخفيف المأمور به راجعٌ إلى السُّنّة.

قال أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: «كان رسول الله ﷺ يوجِزُ الصلاة ويُكملها .

قال الإمام ابن القيّم رحمه الله تعالى: فوصف صلاتَه ﷺ بالإيجاز والتمام، والإيجاز هو الذي كان يفعله لا الإيجاز الذي يظنُّه من لم يقف على مقدار صلاته، فإنّ الإيجازَ أمرٌ نسبيٌّ إضافيّ راجعٌ إلى السنّة لا إلى شهوة الإمام ومن خلفه. انتهى كلامه بتصرُّف.

معاشر الأئمة...

ليكن مظهر الإمام لائقًا بعظمة من يقف بين يديه، فليحرص الإمام على نظافة ملبسه ومظهره وطيب رائحته والتسوُّك قبيل الصلاة، فذلك من التزيُّن المأمور به. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ الأعراف: ٣١ ، وفي الحديث قوله ﷺ: «إنّ الله أحقّ من تُزُيِّن له .

ففي التزيُّن المشروع مرضاة لله تعالى ومجلبة للخشوع ومدعاة إلى تأثُّر المأمومين بإمامهم.

معاشر الأئمة...

احرصوا على تسوية الصفّ أو الصفوف، فلا يكفي مجرَّد الالتفات أحيانًا، بل مُروهم بالاستواء والتراصّ، ومُروا المتقدِّم عن الصفّ بالتأخّر والمتأخِّر عنه بالتقدُّم، حُثّوهم على التراصّ في الصف وسدّ الخلل، فذلك من تمام الصلاة وكمالها، كما قال ﷺ: «سَوُّوا صفوفكم، فإنّ تسوية الصفوف من إقامة الصلاة . أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

احرصوا معاشر الأئمة على قراءة ومعرفة وصف الصلاة النبويّة، ومن ثمَّ تطبيقها قولًا وعملًا. قال ﷺ: «من توضّأ كما أُمِر وصلّى كما أُمِر غُفر له ما تقدّم من ذنبه».

معاشر الأئمة...

كونوا حُرَّاسًا على أبواب الشريعة أن تُدنَّس، بادروا بقراءة ما يُحذِّر من البدعة عند ظهورها وما يحدُث من المنكرات عند فُشُوِّها...

حذِّروا من تلك النشرات الباطلة المتضمِّنة للأخبار الكاذبة... استشعروا الثغر الذي أنتم عليه، وليكن علمكم وتنبيهكم دواءً للداء قبل سريانه... والجامع لذلك: أن تكونوا على بصيرة من الأمر ولا يكون ذلك إلا بالعلم الشرعيّ.

معاشر الأئمة...

إنّ للمساجد مناشط كثيرةً إذا قام بها الإمام أثمرت وآتت أكلها، ومن تلك المناشط: تفقُّد المحتاجين من جيران مساجدكم، فاسعوا معاشر الأئمة جاهدين في مدِّ يد العون لهم بما تستطيعون... خاطبوا الموسرين من أهل مسجدكم وغيرهم، واستشعروا قول النبيِّ ﷺ: «من فرّج عن مسلم كُربةً فرّج الله عنه كُربةً من كُرَب يوم القيامة...»، وقوله ﷺ: «من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله».

معاشر الأئمة...

ومن مناشط المسجد: أن يحرص الإمام على قراءة ما يُفيد جماعتَه من الكتب العلمية النافعة والوعظية أحيانًا أخرى، وعليه أيضًا أن يحرص على قراءة كتب الفتاوى الشرعية للمشايخ المعروفين بالرسوخ في العلم؛ لأنّ تلك الفتاوى فيها جوابٌ لكثير مما يحتاجه الناس مما تعُمُّ به البلوى وغيرها.

فإن كان الإمام قادرًا على تمييز الأنفع من تلك الكتب فبها ونعمت، وإلا فليستشر أهلَ العلم الذين سبقوه علمًا وسنًّا، ولتحرص أيها الإمام أيضًا على نفع جماعتك باستضافة شيخ أو طالب علم ليُلقي عليهم ما ينفعُهم وليطرحوا عليه تساؤلاتهم وإشكالاتهم.

معاشر الأئمة...

ومن المناشط العلمية: توزيع النافع المفيد من الرَّسائل والكتيِّبات والأشرطة التي تتضمّن التعليم والوعظ، وعليه أن يحرص على ذلك في العبادات الموسمية كالحج ورمضان وعاشوراء، وكذا ما يتعلق بالنوازل في وقتها كالخسوف والكسوف وغيرها.

معاشر الأئمة...

ومن المناشط العلمية للمسجد: إقامة تلك المسابقات النافعة التي تتضمّن أسئلةً علميةً بخاصة وكذا الثقافية بعامّة، فهذه المسابقات تشحذ الهمم وتُقوِّي العزائم، فلتحرصوا على ذلك مع العناية بانتقاء الأسئلة النافعة، وبخاصة فيما يحتاجه الناس في أمور العقائد والعبادات والمعاملات والسلوكيات.

معاشر الأئمة...

ومن مناشط المسجد: وضع مكتبة للإعارة مقروءة ومسموعة في المسجد لتكون الكتب النافعة والأشرطة سهلة التناول لمن أراد الانتفاع، ففي ذلك حثّ لجماعة المسجد على قراءة العلم وسماعه، بل تشجيع لهم على حضور مجالس العلم ومجالسة أهله.

معاشر الأئمة...

ومن مناشط المسجد: وضع صندوق لاستقبال فتاوى جماعة المسجد ثم البحث في كتب الفتاوى المعروفة عن الإجابة، فإن لم يتيسَّر له العثور على إجابة ما يبحث عنه ذهب بتلك الأسئلة إلى أهل العلم طلبًا للإجابة عليها، ومن ثمّ تقييد الجواب ليُخبر به جماعة المسجد؛ كل هذا مع الحرص والعناية بالتثبُّت عند طرح السؤال على أهل العلم وكذا كتابة الجواب.

معاشر الأئمة...

ومن مناشط المسجد: العناية بمن في البيوت من الخادمات والسائقين الذين عمّت بهم البلوى، فلتحرص أيها الإمام على إيصال الرسائل والأشرطة العقدية والتعليمية إلى أولئك عن طريق جماعة المسجد، وذلك بالتنسيق معهم لمعرفة لغات أولئك الخدم، ومن ثمّ محاولة إحضار الكتب

والرسائل والأشرطة من مكاتب الجاليات إن تيسّر ذلك، وإلا فحاول جمع المال من جماعة المسجد مع إخبارهم بعظيم النفع والإصلاح لأولئك الخدم عند إيصال الخير لهم.

معاشر الأئمة...

إنّ من مناشط الخير التي تكاثرت في أغلب المساجد: تفطير الصائمين من الفقراء وغيرهم، ففي ذلك الموسم المبارك بخاصة يبذل الناسُ الدعم المادِّي والمعنوي طمعًا في الأجر ومبادرةً إلى فعل الخير.

فعليكم معاشر الأئمة بالمحافظة على هذه الظاهرة الطيّبة، واحرصوا جاهدين على استغلال ذلك التجمّع من الجنسيات المختلفة بتوعيتهم في أمور دينهم، وبخاصة فيما يتعلق بأمور المعتقد؛ لأنّ كثيرًا منهم قد تكون عقيدته ملوّثةً بقوادح عملية أو قولية.

معاشر الأئمة...

ومما يزيد الاهتمام بأولئك العمالة أنهم ـ أو غالبهم ـ لا يجدون وقتًا للتعلّم، وبعضهم لا يرى أنه على صواب من أمره وليس بحاجة إلى توجيه، وكل ذلك منهم عن حُسن نية.

فعليكم معشر الأئمة بتوفير ما تستطيعون من وسائل نشر الخير بينهم من مقروء ومسموع ومشافهة، وذلك بإحضار من يتكلم بلسانهم، ففي ذلك نفعٌ كبير وأجرٌ جزيل.

ومن مناشط المسجد: أن يقوم الإمام بحثّ الناس على التصدّق بما يفضُل عن حاجتهم من اللّباس والأحذية والفرش وغيرها.

يقوم الإمام ومن معه بإيصالها إلى من يعرف من الفقراء والمساكين الذين يعتبرون تلك الملابس والأحذية وغيرها من ضروريات حياتهم، بينما هي كماليات عند من تصدّق بها، فإن ضعف الإمام عن القيام بهذا فعليه أن يحثّ جماعته على إيصالها إلى المبرَّات الخيرية التي تتولى بنفسها إيصال ذلك إلى المحتاجين.

ومن مناشط المسجد: العناية بنساء الحيّ، ومن ذلك قراءة بعض ما يتعلق

بأمور النساء ليقوم الرِّجال بنقله إليهنّ، وكذا توزيع الرسائل التي تعتني بأمور النساء، ويحرص في ذلك على الجانب العلميّ.

ومن ذلك أيضًا: إقامة مسابقة علمية خاصة بالنساء يقوم الرِّجال بإيصالها إلى البيوت ويحرص الإمام على المسائل التي تحتاجها المرأة في طهارتها وعبادتها وغير ذلك.

ومن مناشط المسجد: العناية بأمر الصِّغار، ومن ذلك إقامة الحلقات لتعلّم القرآن الكريم، ومثل ذلك الحرص على تعليمهم ما ينفعُهم من أمور المعتقَد إجمالًا، وكذا أمور الطهارة والصلاة، ويضاف إلى ذلك أيضًا تعليمهم بعض الحقوق والآداب، كحقوق الوالدين والجيران والمسنِّين وكذا آداب المجالس والسَّلام وغير ذلك.

ومن مناشط المسجد: أن يقوم الإمام وبعض جماعة مسجده بمناصحة من حول مسجدهم من أصحاب المحلّات التجارية التي تبيع ما لا يجوز شرعًا، كتلك المجلّات الهابطة وغيرها كالدخان مثلًا.

معاشر الأئمة...

لتعلموا ـ سدّدكم الله تعالى ـ أنّ بعض المصلّين معكم قد يكون له بعض مآخذ على إمامه فيسكُت على مضَض، أو يسكُت رغبةً عن «قيل وقال ، أو يسكت خشيةَ سوء ظنّ الإمام به لو فاتحه في مأخذه عليه.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فاحرصوا ـ رعاكم الله تعالى ـ على تمثّل قول الرسول ج: «الدِّين النصيحة . أخرجه مسلم، فكلّموا من ترونه خيار جماعتكم فردًا أو أفرادًا وسلوهم النصيحة إن كان ثمّة تقصير، ولتعلموا أنّ في ذلك مصالح كثيرة، فطلب النصيحة قُربة، والتنبُّه للخطأ نعمة، والاعتراف به والرجوع عنه رفعة، وإياكم والأنفة من قَبول النصح عند تقصيركم!

معاشر الأئمة...

إنّ مما يؤخذ على بعضكم التوسُّع في التبدّل مع جماعة مسجده إلى أن تصل به الحال إلى خوارم المروءة!

ومثال ذلك: أن يتصدّر الإمام مجالس جماعته لا للعلم والوعظ، ولكن بسياق المضحكات والمهازل! حتى يبلغ به المقال والحال إلى درجة ما يُخلّ بالحياء، ويجعل هذا ديدنَه، وهذا فيه محذوران:

الأول: سقوط هيبة الإمام من نفوس جماعته.

والثاني وهو أعظم: أنّ الشيطان قد يستدرجه في التبسُّط في الحديث حتى يصل به الأمر إلى المحرَّم شرعًا، كالغيبة والنميمة والاستهزاء... وتلك الساعة لا تسأل عن الضرر الذي جلبه إلى نفسه وإلى غيره ممن جالسه أو سمع عنه.

فيا معاشر الأئمة.. احذروا الإفراط في هذا الجانب، وكذا التفريط والانقباض والعُبوس، والمطلب الشرعيّ هو الاعتدال بضوابط شرعية تحفظ عليك دينَك ومروءتَك وسُمعتَك.

معاشر الأئمة...

إنّ من أسباب ذبذبة أفكار الناس أن يُبادر بعض الأئمة إلى الحكم في الحوادث والنوازل الكبيرة دون تروٍّ وسؤال لأهل العلم.

فيا معاشر الأئمة.. أنتم قدوة لجماعات مساجدكم؛ إليكم يردون وعنكم يصدُرون، فاللهَ اللهَ في جماعاتكم، والحذرَ الحذرَ من العجلة في القول والتسرُّع في إصدار الأحكام الشرعية دون الرجوع إلى سؤال العلماء الرَّاسخين.

عليكم بالرِّفق.. فوَالله لَأَن ينقل عن الإمام أنه سكت لجهله بالحُكم خيرٌ له وأزكى وأتقى من أن يقول هو بلا علم ولا سؤال لأهل العلم، فذلك القول بلا علم يجرُّه إلى الإثم والخطيئة، بل قد يزيد إثمه ويتعدّى ضررُه إذا أفتى الناسَ بجهل فتناقل الناسُ كلامَه ونشروه، ومصدره في ذلك عاطفة جيّاشة أو محاكاة لزيد أو عمرو!

وليجعل نصب عينيه: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ الإسراء: ٣٦ . معاشر الأئمة...

إنّ من التفريط في واجب الإمامة أنّ بعض الأئمة يتخلّف عن الجماعة دون إخبار المؤذّن أو مَن يوصل الخبرَ إلى المؤذّن؛ مما يُسبِّب إحراجًا للجماعة

بتأخيرهم عن أداء الصلاة ظنًّا منهم وجودَه، وقد يتحرَّج المؤذّن أيضًا من الإقامة خشيةَ عتاب الإمام له، ويزداد هذا الأمرُ سوءً إذا كان التخلّف عادةً للإمام!

فليتّق الله تعالى مَن كان هذا شأنه وطبعَه، وليحرص على القيام بما أُوكِل إليه على أحسن وجه يستطيعُه.

فإن حبسه حابس مرض أو سفر أو عُذر آخَر فليبادر بإخبار المؤذن ابتداءً أو أحدَ جماعة مسجده، وأحسن من هذا كلّه أن يتّفق مع المؤذّن على وقت معيَّن للإقامة، فإن جاء وإلّا أقيمت الصلاة مراعاةً لمشاعر الناس ودفعًا للحرج والإثم عن نفسه.

معاشر المسلمين...

إنّ من الإنصاف والعدل في هذا المقام أن يقال: إنّ بعض المصلّين من جماعة المسجد يكون حجرَ عثرةٍ في طريق الإمام، فيُكثِر من نقده بغير حقّ، ويحاول تصيُّد أخطائه، ومن ثمَّ إشاعتها بين أفراد الجماعة وغيرهم، وهذا من الظلم والجَور.

معاشر المسلمين...

وقد يكون دافعُ هذا المنتقد في ذلك نزعةً قبليّة أو إقليمية، أو عداءً شخصيًّا بينهما، أو لصغَر سنّ الإمام أو لغير ذلك.

ألا فليتَّق الله تعالى من كان خُلُقه كهذا، وليعلم أنه ظالمٌ لأخيه، بل إنّ ظلمه لإمامه أشدّ إثمًا؛ لأنّ تشويهه لسُمعة إمامه يختلف عن غيره، لمكانة الإمام وشريف منزلة الإمامة.

والواجب على جماعة المسجد أن يُناصحوا صاحبَهم ويُذكِّروه بالله تعالى وأنه ظالم للإمام ومتعدٍّ عليه؛ فإن استجاب فبها ونعمت وله ولهم، وإن أصرّ وعاند فلهم وعليه، لكن عليهم أن يُخبروا إمامَهم بأنهم لا يُقرُّون ذلك الرجل على سوءِ تصرُّفه وظلمه.

هذا في حالة كون الإمام مظلومًا؛ أما في حالة كون الإمام واقعًا في أخطاء

جرّت عليه عداوةَ ذاك وأمثالِه فعليهم أن يُناصحوا إمامهم من قبل ومن بعد، وأن يسلكوا أقومَ الطرق وأهدى السُّبل في بيان خلله وعلاجه، وإن دعت المصلحة للحزم معه فليحزموا أمرهم وليفاتحوا إمامَهم، فإن استجاب برئت ذمّتُه وذمّتُهم، وإن أصرَّ تلوثّت ذمّته وبرئت ذمّتهم، ثم بعد ذلك هناك قنوات رسمية تتولى الأمرَ وتفصل فيه.

اللهمَّ أرشد الأئمة...

اللهمَّ اجعلهم هداةً مهتدين...

اللهمَّ بارك في إمامتهم، وبارك في أخلاقهم، وبارك في أعمالهم وجميع شأنهم.